الاقتصاد وأثره

على المجتمع الكاظمي ١٩٥٨-١٩٦٨.

شروق عبد السادة زويد

مديرية التربية الرصافة الاولى

Economy and its Impact on the Kazemi Society 1958-1968.

Shouroq Abdul Sada Zuid

shouroqmm@gmail.com

الاقتصاد وأثره على المجتمع الكاظمي ١٩٥٨-١٩٦٨.

شروق عبد السادة زويد

الخلاصة:

أن نشوء أي مدينة مرهون بتحديد موقعها واهميتها من جميع النواحي ومدى ملائمة المناخ للتوسع العمراني وتقدم اقتصاد المدينة، تنوعت الحرف الصناعية التي تمثل انعكاساً للبيئة الاجتماعية والمكانية، لذا تعد مدينة الكاظمية مركز لعدة صناعات منها الالية او اليدوية، كما وان تلك الصناعات متعددة فمنها غذائية او سلع استهلاكية، كما ساعد وجود العامل الديني على التبادل التجاري وارتفاع اقتصاد المدينة خاصةً في موسم الزيارات والمناسبات، اما وضع المدينة من الناحية العمرانية اختلف بإختلاف أنواع المهن التي يعتاش عليها العاملين في المدينة وكذلك توزيعهم الجغرافي بالنسبة للبعد عن الروضة المقدسة.

الكلمات المفتاحية: (حِرف، اقتصاد، تجارة، الكاظمية)

Abstract

That the emergence of any city depends on determining its location and its importance in all respects and the suitability of the climate for urban expansion and the progress of the city’s economy. The industrial crafts that represent a reflection of the social and spatial environment varied, so the city of Kadhimiya is a center for several industries, including mechanical or manual, and those industries are multiple, including food or Consumer goods, and the presence of the religious factor helped in trade exchange and the rise of the city's economy, especially in the season of visits and events. As for the urban status of the city, it differed with the different types of professions that workers in the city live on, as well as their geographical distribution in relation to the distance from the Holy alrawda.

Key words: (crafts, economy, commerce, kadhimiya)

المقدمة:

تكثر في مدينة الكاظمية المقدسة العديد من الصناعات والحرف، التي تؤهلها ان تكون محطة ومركزاً مهماً، لوجود المرقدين الكاظمين احاط المدينة بهالة دينية تهوي اليه قلوب المسلمين من جميع الاماكن سواء كان من داخل القطر او خارجه، بذلك اصبح موقعاً سياحياً ذا نشاط اقتصادي وتجاري لذا تتميز المدينة أنواع المهن الشعبية التي تخذها الكاظميون مصدراً لمعيشتهم، واصبحت سمة بارزة وتراث عريق للمجتمع الكاظمي، ولذلك سوف نعطي تعريفاً للحرف الصناعية ومفهومها وتصنيفاتها وأهميتها في البيئة الاقليمية، وتاريخ بعض هذه الصناعات القائمة في قضاء الكاظمية، وأنواعها، وخصائصها الميكانيكية والمكانية، وطرق الانتاج لبعض منها.

تتميز منطقة الدراسة بتاريخ حضاري وتراثي ومكاني قديم، شجّع على اقامة الحرف الصناعية وتوطنها، وظهور التخصصات الصناعية الحرفية في بعض منتجاتها، فقد اصبح ضريح الامامين نواة توسع المنطقة التي تشغلها مدينة الكاظمية، حيث اخذ الناس بالسكن حول المشهد الكاظمي لحمايته وادارته والتبرك به، وشهدت الكاظمية بالتوسع نتيجة الازدهار والتقدم الاقتصادي والاجتماعي.

قسم البحث الى محورين، الأول تضمن حرف وصناعات المجتمع الكاظمي، والمحور الثاني الأثر الديني في زيادة الفعاليات الاقتصادية لدى المجتمع الكاظمي.

أولاً: حرف وصناعات المجتمع الكاظمي:-

تظهر الحرفة[*] (الحسن، ١٩٨٦: ٤١) بشكل منتج ادى الى ارتفاع اقتصاد المنطقة، يعني اي نشاط يمارسه الانسان في سبيل كسب معاشه، كصناعات تقليدية التي ينتجها الصانع في مجالات الحياة والتي انبثقت من حاجة المجتمع، وقد ادت اليه عوامل(حمزة ، ١٩٧٥: ١١٩-١٢٠) عدة منها طبيعي وبشري، جعل المنطقة مهمة من بين المناطق الصناعية في بغداد.

[*] عُرفَّت بالصناعة التي تعتمد في جميع مراحل الإنتاج على الأيدي، من غير استخدام الآلات تتم مراحلها بصورة رئيسة بواسطة عمال مستخدمين ضمن معمل صغير او ورشة صغيرة في المدينة او القرية.

بدأت هذه الصناعات في البيوتات والمحلات الصغيرة اعتز بها أصحابها، ومنها ما تحول الى معامل، حتى اصبحت مدينة الكاظمية احدى المناطق الصناعية في مدينة بغداد، كما اعطت طرق المواصلات اتساع لحدود المدينة وزيادة نشاطها التجاري، وتحول أبناء المدينة الى العمل في المصانع وترك مهنة الزراعة التي بدأت تصغر مساحتها بسبب تحول اراضيها الى مناطق للسكن، اي بما تقتضيه حاجة السكان (حمودي ، ١٩٩٧: ٧).

لقد تطلبت الحرف اليدوية والصناعات الى ايدي عاملة كبيرة مما شجع على زيادة الانجاب وارتفاع نسبة السكان، فوجدت اسر كبيرة الحجم واسر مركبة تضم عدد من أقارب الزوجين، يساهم غالبيتها في العمل وتقسيم الاعمال بينهم كلاً حسب مقدرته.

(احمد ، ١٩٩٦: ١٢٥).

لذا تعد الصناعات هي اساس المدينة الاقتصادي، كما أنَّ لِلاهتمام بالأسواق التراثية وتطويرها، مثل سوق الاسترابادي وغيره، الى جانب تشجيع بعض المهن والحرف اليدوية ذات الطابع التراثي، كالصياغة وصناعة التحف والأواني النحاسية، ومتاجر تصنيع وبيع السبح والأزياء العربية التقليدية الرجالية والنسائية (الجادر ، ١٩٧٢ : ٢٣٩) .

أقيمت صناعات متنوعة في الكاظمية منها يدوي والاخر آلي، تتميز الصناعات اليدوية عن الصناعات الآلية الحديثة بأنها تنجز داخل المنزل او دكاكين صغيرة ويشترك فيها جميع افراد الاسرة، اما ساعات العمل فلا تحدد بعدد الساعات، واجر العمل يكون على اساس القطعة، ولا تتشابه جميع القطع المنتجة كونها تخضع لرغبة الصانع، لقد تركزت الصناعات اليدوية قرب الروضة الكاظمية المقدسة لحاجة هذه الصناعة الى ايدي عاملة كبيرة متركزة في أماكن متقاربة، ونتيجة لوجود عدد كبير من العمال قرب الروضة المقدسة وسهولة تسويق الإنتاج.

(حمزة ، مصدر سابق : ١٢١) .

تقوم الحرف الصناعية بإشباع رغبات المستهلك، وترقي الذوق، من خلال المنتجات التي تمتاز بالطابع الفني النادر، وبدقة الصنع، وروعة الجمال، وكذلك استثمار وقت الفراغ بممارسة الهوايات والأعمال النافعة التي تعود بربح مادي إضافي لأفراد الأسرة، ان اصحاب

الحرفة المتشابهة يجتمعون في منطقة او محلة واحدة لسهولة الحصول على المادة الأولية، وتقسم الحرف او الصناعات اليدوية الى:

أ- صناعات يدوية (بسيطة) وهي الحرف التي تعتمد في جميع مراحل الإنتاج على الأيدي، من غير استخدام الآلات، كما في حرفة الغزل اليدوي، والسلال والمراوح، والحياكة اليدوية، والروافة، ... الخ(شريف ، ١٩٧٦ : ٢) .

ب-صناعات خفيفة (معقدة): التي تستخدم فيها بعض المعدات والآلات الكهربائية في جميع مراحل الإنتاج، أو بعضها، كما في الصياغة، والنجارة والحدادة... الخ

(حسن ، ٢٠٠٩: ٢٠)

ومن أهم الصناعات اليدوية الحرفية في مدينة الكاظمية:

❖ **الدباغة**

حرفة يدوية تمثل الجلود المادة الاساسية في هذه الصناعة، وهي ذات استخدام واسع، حيث يتمثل الجلد المدبوغ بالمقاومة العالية، يقوم سكان مدينة الكاظمية بتجميع الجلود وبيعها في أسواق الكاظمية، شجع وجود الجلود في مدينة الكاظمية بكميات كبيرة الى تخصص عدد من الاسر بصناعة الدباغة وبالطرق اليدوية وبمواد بسيطة، إضافة الى عامل اخر شجع على قيام هذه االصناعة قرب المدينة من نهر دجلة وهو مادة أساسية لتلك الصناعة

(الابراهيمي، ٢٠٠٩ : ٤٢) .

لم تدخل الالة في صناعة الدباغة حتى الحرب العالمية الأولى، بعدها ادخلت الآلات وارسل العمال للتدريب على استعمالها، حيث انشئ اول معمل عام ١٩٣٢، في حين كان العمل يتم بين افراد الاسرة فيقوم الأطفال بنقل الجلود وتقوم النساء بنزع الصوف عن الجلود ويقوم الرجال ببقية العمليات، وقد نتج عن عملية نزع الصوف تجمع كمية كبيرة من الاصواف، فتطلب ذلك الى قيام صناعة أخرى وهي غزل الصوف وهي صناعة تحتاج الى ايدي عاملة

(احمد ، مصدر سابق : ١٢٥) .

ثم تعرضت هذه الصناعة للمنافسة بسب استيراد الجلود الأجنبية، كما تعرضت الى تلف الجلود بسبب الطرق المتبعة في استخلاصها، لهذا منعت السلطات الصحية قيام الدباغة وسط المحلات السكنية ، كانت اهم مناطق لدباغة الجلود في الكاظمية (الدبخانة) (حمزة ، المصدر السابق : ١٢٧)، وتم نقل اغلب المشاريع الى منطقة عكركوف غرب المدينة وفي منطقة الشعلة

(الدرة ، ١٩٦٨: ١٦٨).

❖ **صناعات الغزل والنسيج**

احتفظ المجتمع الكاظمي بصناعة المنسوجات التقليدية بالمغازل والانوال التي كانت تسد حاجة المستهلك حتى بعد الحرب العالمية الثانية، عندما دخلت الآلات الميكانيكية في صناعة النسيج (عبد المجيد وآخرون ، ٢٠٠٩ : ١٥٧) ، وتشمل القطن والصوف والحرير، تعد من المشاريع المهمة سواء كانت كبيرة او صغيرة، بقيت الصناعات الصغيرة هي الوسيلة الوحيدة لإنتاج وتوفير الصناعات للمستهلك بسبب ارتفاع اسعار الاقمشة بسبب ضعف الاقتصاد العراقي بعد الحرب العالمية الثانية،حيث اختيرت مدينة الكاظمية لأنشاء مشروع لغزل ونسيج الصوف[*]

(غيداء، ٢٠١٠: ١٣١) .

حفز انشاء مشروع للغزل والنسيج الصوفي في مدينة الكاظمية وبقي لعام ١٩٤٥، المشروع الوحيد حيث تحولت المشاريع الصغيرة المنزلية الى مشاريع كبيرة ، وقد تم تأميم المعمل تحت اسم معمل الوصي في العام[**] ١٩٦٤ (حمزة ، المصدر السابق : ١٣٤) .

يقضي العامل ٨ ساعات من العمل يومياً، لكنها بقيت في تقدم بطيء حتى نهاية الخمسينات النسيج الصوفي من الصناعات القديمة في مدينة الكاظمية، واهم مشروع اعتبر لأنه اكثر تكاملاً في الشرق الأوسط، كذلك وقوع معمل النسيج ضمن المنطقة جعله ذو اتصال مباشر بالمستهلك ولزيادة الطلب ارتفع المستوى المعاشي للمنطقة خاصة لما تمتلكه

[*]انشاء المعمل من قبل فتاح باشا عام ١٩٢٦، السبب في اختيار موضع العمل في الكاظمية حاجة المشروع الى مساحة واسعة والاستفادة من مياه نهر دجلة والاستفادة من خبرة العاملين في المنطقة...الخ.

[**] تم دمج معمل النسيج مع الشركة العامة للصناعات النسيجية والجلدية.

من مكانة دينية وتاريخية وخاصة الصناعات مما ساعد على زيادة الطلب واتساع سوق الإنتاج، لقد بدأ المشروع بكلفة بسيطة وكون المدينة مزدحمة بالسكان وكثرة والوافدين اليها لأسباب دينية زادت نسبة الواردات حيث بلغت نسبتها ٤٠٠,٠٠٠ دينار عام ١٩٥٤، واصبح ٦٠٠,٠٠٠ دينار في العام ١٩٦٩، وتم تغيير اسمه الى شركة الغزل والنسيج المؤممة، الا انه تعرض لصعوبات حيث اعتمد الصوف العراقي للإنتاج وكون المعمل حديث فلم تكن لديهم دراية في طريقة جر الصوف وعدم تمتع المشروع بالحماية وتعرض نتاج الصوف الى انخفاض في الاسعار بسبب الاستيراد(اتحاد الصناعات العراقي، ١٩٥٨-١٩٥٩: ٣٨) .

- **النسيج القطني**

ظهر غزل النسيج القطني في منتصف الاربعينات، بسبب قيام الحرب العالمية الثانية وصعوبة الاستيراد، ادى الى ارتفاع سعر مبيعات المنسوجات القطنية وتوفر المواد الاولية بزراعة القطن وفق احدث الطرق للاستفادة من ضمان استمرار عمل المشروع، وتوفر المواد الأولية بوجود مناطق زراعية كبيرة يمكن استغلالها وفق احدث طرق زراعية أدت الى استمرار عمل المشروع، وعامل اخر هو قربها من اكبر سوق استهلاك هو مدينة بغداد لتصريف الإنتاج وسهولة نقل الإنتاج وتوفر وسائل النقل (لانكلي ، بلا : ٢٣١)، وقد استبدل اسم المعمل (معمل الوصي) عام ١٩٤٥الى المعمل الجمهوري و بصدور قرار التأميم عام ١٩٦٤، سمي بشركة الغزل والنسيج، اما كلفة المعمل منذ التأسيس عام ١٩٤٥ بلغت ١٥٠,٠٠٠ دينار، بينما تضاعف راس المال بعد ستة سنوات الى ١,٢٠٠,٠٠٠ (حمزة ، مصدر سابق : ١٣٨) .

اما اهم الصعوبات التي تعرضت لها الصناعات النسيجية القطنية بعد الحرب العالمية الثانية، نقص في الايدي الفنية العاملة فتح باب الاستيراد للسلع الأجنبية، بقيت هذه الصناعة تعاني من المنافسة للسلع الأجنبية حتى قيام ثورة ١٤ تموز١٩٥٨، كان من ضمن الخطط المعدة لتشجيع المنتوج الوطني هو منع الاستيراد لبعض المنتجات التي تنتج بالمعامل العراقية (وزارة الصناعة : ١٩٦١-١٩٦٢: ٥١).

المنافسة بين شركات النسيج مع اليد العاملة في الكاظمية، ارتفاع تكاليف الانتاج مما عرض المنتجات الى انتقاد المستهلكين(حمزة ، مصدر سابق : ١٤٠-١٤٢) .

- **صناعة الانسجة الحريرية**

ظهرت صناعة الحرير الحديثة في الكاظمية أواخر الخمسينات[*] وتوسعت بفضل الحماية التي توفرت لها(حمزة ، المصدر السابق : ١٤٢)، حيث بلغ مجموع المشاريع الصناعية لأنسجة الحرير في العام ١٩٦٥ (٤٧) مشروعاً عدا المشاريع الصغيرة التي تقام في المنازل، كما يحتاج هذا المشروع الى ٢٤٨ عامل ١١٦ منهم ذوو مهارات عالية أي ما يعادل ٤٦% من العدد الكلي في المشاريع الكبيرة (اتحاد الصناعات العراقي، ١٩٦٦: ٦٠)، وتقف عدة عوامل في طريق تقدم هذه الصناعة، منها الافتقار الى المادة الأولية والحاجة الى استيرادها، قلة المستهلك لتلك الصناعة، قيام اغلب المصانع باستخدام الحرير الصناعي واستبداله بخيوط الكريب وغيره بسبب كلفة الآلات الميكانيكية المستخدمة لاستخراج الخيوط والحاجة الى خبرة فنية لتربية دودة القز (حمزة ، مصدر سابق : ١٤٣)

ضمن صناعة المنسوجات صناعة الجوت، حيث وجد معمل واحد في الكاظمية، تأسس عام ١٩٥١، بلغ كلفة راس المال ٣٠٠ دينار، اضيف اليه عام ١٩٥٦ مبلغ ٦٠٠ دينار، تقدم المعمل كان بطيئاً، بسبب عدم توفر المواد الأولية فكان انتاجه قليل، وارتفاع تكاليف الإنتاج أدى الى توجه المستهلك الى الجوت المستورد، وقلة الايدي الماهرة بتلك الصناعة، وعدم شمول المشروع بقرار التأميم أدى الى غلق المعمل بين عامي ١٩٥٦-١٩٥٨، والمخاوف من ضياع رؤوس الأموال المصروفة، لكن بنهاية عام ١٩٥٨، اعيد فتح المعمل واتخاذ أساليب جديدة منها[**]، استقدام عمال باكستانيين وخبراء لتدريب عدد من العمال وزراعة الجوت في المناطق الجنوبية، وقد شمل المشروع بقرار التأميم عام ١٩٦٤، وزاد عدد العمال والقدرة الإنتاجية (البرازي،١٩٦٧: ٧٧).

---

[*]بدأت صناعة الانسجة الحريرية في الكاظمية منذ العهد العباسي حيث اشتهرت محلة (دار القز) بذلك.

[**]كان عدد العمال عند تأسيس المعمل عام ١٩٥٤ (٨٠) عاملاً، وبلغ عددهم عام ١٩٦٩(٩٢٩) عاملاً منهم (٧٦٤) من ذوو الخبرة العالية .

❖ **الصناعات الغذائية**

وتشمل مجموعة من الصناعات منها:

- **صناعة الحلويات والمرطبات**

تنسجم هذه الصناعات مع البيئة الجغرافية وتتركز صناعتها في الاحياء القديمة حول المشهد الكاظمي يبلغ مجموعها (٢٩) مشروع صغير، و(٦) مشاريع كبيرة لصناعة الحلويات والمرطبات ومنها فصلية حيث تعمل فصل الصيف فقط (حمزة ، المصدر السابق : ١٤٨).

تعد صناعة الحلويات من الصناعات المميزة في مدينة الكاظمية، وذلك لزيادة الطلب عليها من الزائرين وخاصة في المراسيم الدينية، وقد اضاف الموقع الجغرافي عاملاً محفزاً لنشؤ هذه الصناعة وتطورها (البغدادي ، ١٩٣١: ٥٥).

- **صناعة الخبز والمعجنات**

وهو احد الصناعات الصغيرة، يتركز قيام هذه الصناعة في البيوت والاحياء القديمة من مدينة الكاظمية، وقد بلغ عدد المشاريع (٩١) عام ١٩٦٩، ان قيام هذه الصناعة يعد من المقومات الاقتصادية، وتشجيع نوع من الصناعة حسب الظروف التي يجعلها تتركز بمنطقة دون اخرى (السلامي، ٢٠٠٣ : ٥٣).

تحتاج هذه الصناعة الى ايدي كثيرة، بسبب زيادة عدد السكان، ادى ذلك الى نشوء مطاحن الية حديثة وبقيت المطاحن الصغيرة تعمل الى جانب المشاريع الكبيرة، وهي تتوزع في مدينة الكاظمية ،وقد بلغ عددها (١٠) مشاريع زاد عددها بعد قرار التأميم عام ١٩٦٤، وتصل نسبة العاملين فيها الى (٨٥) عامل، ضمن العاملين في هذا المشروع العمال الأفغان حيث بلغ عددهم عام ١٩٦٩حوالي ٤٩% من مجموع العاملين، ويعود السبب في انتشار هذه الصناعة لعدم حاجتها لرؤوس أموال كبيرة ولا الخبرة، وان اغلب مراحلها تقوم على العاملين فيها.

(حمزة ، المصدر السابق : ١٥٠) .

- **صناعة تعليب التمور**

بعد ظهور نظام مكابس التمور لسنة ١٩٣١ ، والذي اشترط للعمل في مكابس التمر توفر الشروط الصحية اللازمة[*]، حيث منعت الحكومة العمل بالطرق القديمة (الجراديع). (قدوري ، ٢٠٠٨ : ٤٤).

تعد صناعة كبس التمور من الصناعات الفصلية (فصل الصيف) وتقل في فصول السنة الأخرى، لذا يقل عدد العاملين فيها كونها ليست دائمية، وتعد نفايات التمور مصدر يستفاد منه كعلف حيواني، ويقع معمل صناعة العلف الحيواني ضمن حدود مدينة الكاظمية (حمزة ، المصدر السابق : ١٥٢) .

- **الصناعات المعدنية (صياغة الذهب)**

تعد صياغة الذهب وبيعه من المشاريع الأساسية في مدينة الكاظمية، وهو من اهم الصناعات لما يمتاز به من خصائص مثل لونه البراق وعدم تعرضه للصدأ، وهو من المعادن النفيسة، تعتمد هذه الحرفة على عدة مراحل مرتبطة مع بعضها (تصفية الذهب، وصياغته، والترميل والنقش، ثم صياغته بأفران الصب، ثم تصفيته من الشوائب) حتى تصبع سلعة يتم بيعها، لذا تساهم صناعة الذهب بجزء جيد من المردود الاقتصادي (رسول ، ١٩٧٦: ٧٦).

اما بيع الذهب مستمر طيل فصول السنة ويزداد بالاستقرار الاقتصادي والسياسي، كما زاد عدد العاملين فيه وظهرت عوائل جديدة تمارس هذه الصناعة، تنوعت أصناف الصناعات من خلال تنوع الإنتاج لسد متطلبات السكان من القطع الذهبية المختلفة .

(حمزة ، المصدر السابق : ١٥٢).

انحصر بيع الذهب على الاغلب قرب الروضة المقدسة، بسبب العامل الديني الذي يجذب الزائرين من داخل العراق وخارجه، وكذلك العامل التاريخي حيث مزاولة المهنة منذ القدم، وكذلك القرب من السوق يزيد من نشاط الحركة التجارية وأصبحت اكثر رواجاً، وعامل

[*]مخيمات بسيطة مصنوعة من القصب او القش تقام في مناطق النخيل، واصحابها من اصحاب بساتين النخيل او تجار التمور، او هي اكواخ تقام على ضفاف الانهر للاستراحة المؤقتة في الصيف وتبنى عادة من الحصيران والبواري.

اخر هو اليد العاملة فتتم صناعته محلية يجعل تكاليف العمل اقل (رسول ، المصدر السابق : ٧٦).

وقد بلغ عدد المشاريع ١٠٧ مشروع، اما العاملين في صناعة الذهب فقد بلغ عددهم ١٦١ عامل في العام ١٩٦٩ (حمزة ، المصدر السابق : ١٥٨) .

ثانياً: الأثر الديني في زيادة الفعاليات الاقتصادية لدى المجتمع الكاظمي.

تتمتع المدينة بموقع ديني تمثل بمرقد موسى بن جعفر المتوفى في العام ٧٩٩، ومرقد حفيده الامام محمد الجواد المتوفى في العام ٨٣٢ عليهما السلام، مما جعل المدينة مزاراً للوافدين من العراق وكافة أنحاء العالم العربي والإسلامي لذلك باتت تمتاز المدينة بخصوصية منها صناعة المصوغات الذهبية والفضية والنسيجية، اما المقومات الجغرافية الطبيعية كالمناخ والسطح والتربة لم يكن لها تأثير على الجذب السكاني، لذا أصبحت مدينة الكاظمية نواة تجمع صناعي وفرت مورد اقتصادي مهم، فقد تطلب ذلك اكتساب خبرات ومهارات فنية عالية كلها أدت الى التمسك بموقع التوطن(الجنابي ، ٢٠١٣ : ١١٢).

يزور الناس الأهل وأضرحة آل البيت والأولياء الصالحين في المواسم الدينية ومناسبات أداء الدعاء وقراءة القرآن كافة وهي عادة موروثة في مختلف بلدان العالم الإسلامي. وقد تطورت مراسيم الزيارة وأصبحت لها تقاليد وطقوس وآداب معينة فظهرت طبقة من المجتمع تقوم بمهمة التنظيم والإشراف على هذه العملية كما ظهرت الحاجة إلى توفير كثير من الخدمات المختلفة (وقائع المؤتمر الهندسي العراقي، ١٩٨٥ :٢٢) ، وبذلك ظهرت الحاجة إلى تسقيف القبر ثم تحوله إلى بناية تُعرف بالضريح وقد تطورت هذه البناية إلى فضاء معماري أو حضري واستمر إلى يومنا هذا ولأسباب دينية وتاريخية، ولذلك يُعد المرقد أساس وجود المدينة وهو النواة التي نشأت حوله. وهذه النواة تمثل أو لمظهر لنشأة المدينة (حمدان ، ١٩٦٤ : ٦٠) .

يمتاز المرقد الكاظمي المقدس بموقعه المركزي في المدينة وعلى مدى التاريخ ويؤكد القانون الذي يقول إنّ أماكن العبادة تحتل على الدوام المواقع نفسها وبذلك فإن المرقد هو الذي حدد موضع المدينة (حمزة ، المصدر السابق : ١٥٨-١٦٨) ، إذ إن موضعها لم يخضع للمنطق الجغرافي مثل بقية المدن الأخرى، إذ إن نشوء المدينة وتوقيعها جاء بسبب

وجود المرقد وتحدد بموضعه. تمثل النواة الدينية " المرقد " المركز الوظيفي والمعماري والتخطيطي الذي يتحكم بجميع أجزاء المدينة ويسيطر عليها إذ تتجمع حوله الفعاليات الأخرى، تجارة وخدمات لتقديمها للزوار فتكثر فيها الفنادق والخانات والأسواق حتى تكاد تطغي على الوظيفة الدينية.

يتكون المرقد من ثلاثة أقسام رئيسة وهي: القسم المركزي والسور الخارجي والصحن، لذلك يمثل المرقد رمزاً روحياً واجتماعياً وفكرياً في البيئة الحضرية فهو يمثل القيم الدينية للمدينة التي تحدد هيكلها بتفاعلها مع العوامل الأخرى مثل الاقتصاد والظروف المناخية والمحلية والخيارات الفردية والإجراءات التخطيطية(حمزة ، المصدر السابق : ص ١٦٨).

يتميز المرقد بالأجواء الروحيْة الدينية العالية التي تغلف الأجواء الدنيوية وتوجهها وتكون فكراً انعكس على المباني والطرق والساحات وحتى مواد البناء المستخدمة من خلال توجيه حياة المجتمع والأسرة والفرد ضمن الإطار العملي الذي يبرز الأبعاد العمرانية الممتدة بصورة كاملة ومتناهية في العالم الروحي(الاشعب ، ٢٠٠٥ : ٧) .

إنّ الإنسان بطبيعته يحتاج إلى أن يحتوي نفسه في فضاءٍ محدد مثل فضاء المرقد الذي يتجه إليه المسلم بروحه ويتطلع إليه. فضاء المرقد يعد محتوى روحياً ورمزياً، إذ يتميز بخاصية مهمة وهي أنه فضاء مخصص للعبادة والتأمل ويؤدي إلى عزل الفرد عن المظاهر المادية الأخرى ويُعيشه في الأجواء بالروحية المطلوبة وتمثل ذلك من خلال شكل المرقد وتخطيطه وبناءً على ذلك يمكننا أن نقرر المؤشرات الآتية:

1-انعكست الأجواء بالروحية والدينية للمرقد على المجتمع المحيط وبالتالي على الهيكل العمراني الذي يبرز بأبعاده العمرانية الممتدة ضمن العالم الروحي والمعبرة عن الرمزية الروحية والدينية للمرقد.

2-فضاء المرقد مخصص للعبادة بصورة رئيسة، ويعزل الفرد عن العالم المادي ويُعيشه في الأجواء الروحية وذلك من خلال شكل وتخطيطه وشموخه المرقد.

3-للمرقد جانب روحي ورمزي معبر عن علاقة الإنسان بالخالق وقد جُسّد هذا الجانب الرمزي الديني للمدينة من ناحية الموقع والدلالة إذ يتوسط موقعه المدينة ويرتبط بالعلاقات والمظاهر الاجتماعية في المدينة، وهو يرتبط حسياً ومعنوياً بالمجتمع، فالربط الحسي

يتمثّل في الصلاة وتجمع قلوب المسلمين فيه، والمعنوي يتضح بتوجه المصلين نحوه وبتوجهه نحو القبلة. إن النسيج الحضري يتبع توجه المرقد نحو القبلة ويُترجم الرمزية الروحية الدينية في المدينة، ولتحقيق هذه الأبعاد الرمزية لا بد من:

أ-أنْ يبقى المرقد من المعالم البارزة على صعيد خط السماء "Sky Line" وهذا يعني دراسة استعمالات الأرض المجاورة، ودراسة قوانين البناء التي تحدد الارتفاعات والأبعاد الأخرى.

ب-أنْ يكون المرقد على المحاور الرئيسة للحركة أو أنها تنتهي إليه ليكون شكله حاضراً في حياة الناس اليومية بما فيه من معانٍ رمزية.

هناك ترابط وثيق بين نشوء الصناعة في أيّ منطقة او أقليم أو دولة، ومدى تواجد العوامل الاقتصادية المساعدة أو المحفزة، وانسجامها وتظافرها، بحسب نوع الصناعة وحجمها من جهة، وبحسب المنطقة او الأقليم من جهة أخرى، وتعرف هذه العوامل بـ (عوامل التوطن الصناعي) ويقصد بالتوطن الصناعي (Industrial Localization) : تركز فعاليات وأنشطة صناعية معينة في منطقة، أو في عدد محدود من المناطق ضمن الدولة، وظهور قوى اقتصادية في هذه المناطق تعمل على استقطاب الصناعات المماثلة من الأقاليم الاخرى، نتيجة لتوفر عدة عوامل اقتصادية في هذه المناطق، تعمل على خلق ظروف مشجعة لإقامة هذه الصناعات وتطورها في منطقة أو إقليم معين، دون تركزها في الاقاليم الاخرى. لقد كانت الوظيفة الدينية عاملاً مهماً وأساسياً في نشوء العديد من المدن، فمنذ القدم كانت المدن تنشأ وتتطور حول المعابد، وعندما جاء الإسلام أصبح المسجد الجامع مركزاً تتمحور حوله مختلف الوظائف الحضرية في المدينة. والمدن الدينية العربية تكون إمَّا مدناً للحكم الديني كما في مدينة (الرياض) وأمَّا مدناً تذكارية كما في (فلسطين)،وأمَّا مدن أضرحة كما في مدن (النجف) و (كربلاء) و (الكاظمية) و (سامراء)، او مدن حج كما في (مكة) و(المدينة المنورة)

(حمدان ، ١٩٦٤ : ٨٥).

تعدّ الوظيفة الدينية في منطقة الدراسة العامل الأساسي لقيامها (وهيبة ، د. ت : ٨٤). لقد تركت الوظيفة الدينية أثرها في مختلف الوظائف الحضرية الدينية الأخرى لمنطقة

الدراسة وعناصرها العمرانية، فيلاحظ توفير البضائع التي يطلبها الزائرون، كالألبسة والكماليات والمصوغات الذهبية والفضية، واتساع حجم بعض الأنشطة التجارية، حتى تكاد أن تكون المنطقة متخصصة بها، كتجارة العباءات النسائية وأصناف الحجاب الإسلامي وكذلك الملابس الرجالية العربية (الكناني ، ٢٠٠١: ٤٨). واغلب هذه البضائع تصنع في منطقة الدراسة، أو تؤخذ كمواد أولية نصف مصنّعة وتجري عليها بعض المراحل الصناعية حتى تتكامل وتصبح بضاعة كاملة للبيع. ويظهر اثر الروضة المقدسة في جذب السكان من كافة مناطق القطر عند وجود مناسبات دينية إذْ يساهم هذا العامل في توفر سوق لاستهلاك المنتجات الصناعية وغيرها.

كما أنشأة عدد من المحلات الخاصة بالاستراحة والمطاعم وغيرها من المؤسسات الاجتماعية المختلفة، حيث تقوم هذه المحلات بتقديم ثلاثث أنواع من الخدمات التجارية منها صناعية والأخرى تجارية وأخيرا العامة، لذا بقيت المدينة في توسع مستمر حتى وصل في العام ١٩٦٥ عدد سكانها ربع مليون نسمة، ونلاحظ زيادة تركيز السكان بالقرب من الروضة المقدسة، ومن خلال مقارنة محلتي الدبخانة القريبة من المرقد والعطيفية نجد سكان محلة الدبخانة يبلغ ١٢٠٠ نسمة بينما يبلغ سكان محلة العطيفية ٤٠ نسمة بالهكتار الواحد، اضف على ذلك زيادة الهجرات من مناطق جنوب العراق الى مدينة بغداد، زاد في اعداد سكان مدينة الكاظمية نسبة ببقية مناطق بغداد كونها مركز اداري جذبت اليها اعداد كبيرة من الايدي العاملة التي بحاجة الى فرص عمل ، أدى ذلك الى تنوع القوميات واللهجات.

وبسبب الجذب الديني للمدينة زادت فيها حركة المواصلات مما سهل العملية التجارية وخاصة في مواسم الزيارات والمناسبات، بذلك يعود منفعته على سكان المدينة اقتصادياً لزيادة عدد الوافدين اليها من داخل العراق وخارجه.

اوجبت الوظيفة الدينية وجود عدد كبير من العاملين في الخدمة الاجتماعية والدينية ومنهم علماء الدين والوعاظ والخطباء والسدنة، فيعتمد اقتصاد هذه الاسر على الوظيفة الدينية وهي بذلك تشكل احدى طبقات مدينة الكاظمية، وبالمقارنة بعدد موظفي مدينة الكاظمية ببقية المدن نجدها الأعلى بينهن يعود ذلك لوجود الوظيفية الدينة في المدينة

واعتماد سكانها اقتصادياً على تلك الوظيفة مقارنة بالموظفين بالمؤسسات والدوائر الحكومية الأخرى.

أذن من خلال هذا العرض الوصفي للعوامل المؤثرة في الحرف الصناعية ، سواء أكانت مكانية أم اقتصادية أم غير اقتصادية ، تجد أن تأثير هذه العوامل يظهر نسبياً في جذب الحرف الصناعية للقضاء، برز فيها الجانب الديني بنسبة ٤٢.٥%، متمثلاً بوجود المشهد الكاظمي (مرقدي الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد) (عليهما السلام) ،إذ جذب العامل الديني العديد من الناس لزيارتهما مع مراقد العلماء الاعلام وهم الشريف الرضي ، والشريف المرتضى، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي ، وأبو يوسف الأنصاري ،إذ نشط هذا العامل ، فتنامت عملية الحرف الصناعية ،ولاسيّما الهدايا المرتبطة بهذا المكان إذ شجع ذلك بروز صناعات تخصصية حرفية تمَّيزت بها، وتنامت من حين لآخر(الكناني ، المصدر السابق: ٧٥) .

ويمكن ملاحظة الجانب الديني واثره في الحركة التجارية ، شجع من زيادة هذه الحركة وجود وسائط نقل تقل العاملين وأصحاب المنتجات الزراعية والالبان من الأطراف الى المركز أي قرب الروضة المقدسة، حيث كانت الطرق مبلطة ومريحة وكذلك بأجور مناسبة، نتج عن تلك الحركة اهم المراكز التجارية التي تقع حول الروضة الكاظمية، كما يتم جمع السلع والخدمات الضرورية من نفس المدينة و المستوردة وتوزيعها خارج المدينة، لاتساع المنطقة تجاريا أصبحت هي المسيطرة على بقية المناطق التجارية الثانوية، فنلاحظ سيطرة المنطقة الممتدة من ساحة الامام الكاظم عليه السلام وباب القبلة على بقية المناطق، فتشتمل تلك المنطقة على وجود البنوك والفنادق وشركات النقل والمطاعم.... الخ (حمزة ، المصدر السابق : ٢٠٦) .

لقد أدت العوامل الطبيعية والبشرية في توجه اغلب سكان المدينة للعمل في بعض الأنشطة الاقتصادية، وتترتب هذه الأنشطة في المدينة بالصناعة والتجارة ثم الخدمات العامة المتمثلة بالنقل والمواصلات، وتُعَد الزراعة النشاط المميز للمدينة.

كما يُظهر التقدم الصناعي والتجاري على الجانب الاجتماعي في مدينة الكاظمية، وجود طبقات متنوعة، فمنهم من يمتلك المنازل الضخمة ومنهم من يمتلك المنازل البسيطة،

كذلك تنوع في المشاريع الصناعية نتج عنه ظهور العاملين فيها ذوو دخل مختلف فمنهم المنخفض الدخل ومنهم المتوسط، ويسكن اغلب هؤلاء العمال في محلات بعيدة عن مركز المدينة والمتمثلة بمحلة النواب والعكيلات والحرية والسلام، وتقل مساحة هذه الدور بقلة دخل العاملين في المدينة .

مما تقدم يتبين ان للعامل الديني أهمية في جذب عدد كبير من الزوار والمهاجرين الى مدينة الكاظمية، والى تنشيط الحركة التجارية في المدينة، والى توسع المشاريع الصناعية لسد الطلب المتزايد على المنتجات الضرورية وتوفير الخدمات.

كما ان التطور الاقتصادي الذي حصل في الصناعات اليدوية وأستخدام الآلات زاد من كمية الإنتاج في حين كان الإنتاج الذي يتم داخل البيوت محدود ويتطلب عدة أيام للتعلم ولأكتساب الخبرة، وقلة الأجور التي يحصل عليها العامل، حيث كان يحصل اجوره على عدد القطع التي ينتجها، في حين العامل الذي يعمل على الالات يحصل على اجوره حسب ساعات العمل، و ان عمال الحرف اليدوية لا يتمتعون بالعطل وعملهم غير مضمون وخاصة في حالات المرض او العجز، أدى ذلك الى خلق مجتمع متميز.

الخاتمة:

١. ان ممارسة المجتمع الكاظمي للصناعات اليدوية او عن طريق الآلات أهمية في تغيير تركيبته الاجتماعية ومكانته الاقتصادية، فقد تغير دور الافراد في الاسرة، وأصبحوا يمتهنون اعمال تناسب قدراتهم وقابلياتهم.

٢. اثرت المشاريع الصناعية التي تقوم على الآلات في تخصص افراد الاسرة في عدة مهن بعد ان كان جميع افراد الاسرة يعملون في حرفة واحدة.

٣. أدى ارتفاع دخل الاسرة الى تحسين مستوى المعيشة وتحسن حالة السكن، فظهرت احياء سكنية جديدة بعد ان كان السكن مقتصر حول الروضة المقدسة.

٤. بعد قيام الصناعات وتأميمها، صدر قانون حدد ساعات العمال، واجور العمال، وايام العطل وشمولهم بقانون التقاعد.

٥. اثر التوسع السكاني والمهني ظهرت حركة يومية يتنقل بها العمال من سكنهم الى العمل، اما من داخل المدينة الى خارجها او منم الضواحي الى مركز المدينة.

المصادر:

١. ابراهيم شريف، جغرافية الصناعة، ط ١، دار الرسالة للطباعة، بغداد،١٩٧٦.
٢. ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، المجلد الثالث، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣١.
٣. اتحاد الصناعات العراقي، الكتاب السنوي الثالث للسنة ١٩٥٨-١٩٥٩، مطبعة الرابطة، بغداد.
٤. اتحاد الصناعات العراقي، دليل الصناعات العراقية والكتاب السنوي لسنة ١٩٦٦، بغداد، ١٩٦٦.
٥. أحسان محمد الحسن، علم الاجتماع الصناعي، كلية الآداب، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦م
٦. احمد حبيب رسول، مبادئ الجغرافية الصناعية، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦.
٧. انتصار حسون رضا السلامي، الحرف الصناعية في قضاء الكاظمية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
٨. باسم عبد الحميد حمودي، التراث الشعبي، العدد الأول، جمهورية العراق – بغداد، ١٩٩٧.
٩. جمال حمدان، المدينة العربية، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، د. ط، مطبعة الجبلاوي، ١٩٦٤.
١٠. حاتم حمودي حسن، تداعي الموروث السكني في الكاظمية القديمة، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، ٢٠٠٩.
١١. خالص الاشعب، مدينة بغداد- (نموها- بنيانها- تخطيطها) الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الحافظ، بغداد، ٢٠٠٥.
١٢. سناء حامد عباس الابراهيمي، الصناعات النسيجية والجلدية في محافظة النجف- دراسة الجغرافية الصناعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٩.
١٣. صباح الدرة، التطور الصناعي في العراق، د. ط، مطبعة النجوم، بغداد، ١٩٦٨.

١٤. صلاح عريبي وعباس العبيدي، الدور الاقتصادي للبرجوازيين في المشرق العربي حتى ستينات القرن العشرين، ط١، دار غيداء، عمان، ٢٠١٠.

١٥. عبد الزهرة علي الجنابي، الجغرافيا الصناعية، د. ط، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.

١٦. عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العمران، منشأة المعارف بالاسكندرية، الاسكندرية، د.ت.

١٧. علي فؤاد احمد، علم الاجتماع الريفي، ط ٣، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦٦.

١٨. فخري قدوري، طفولة في بغداد على ضفاف نهر دجلة، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٨.

١٩. كاثلين لانكلي، تضنيع العراق، ترجمة محمد حامد الطائي وخطاب العاني، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٣.

٢٠. نضال عبد المجيد وأخرون، السجادة النباتية العراقية، مركز دار الطراز للبحوث والنسيجية، التقرير السنوي للهيئة العامة للبحث والتطوير الصناعي، وزارة الصناعة والمعادن، بغداد، ٢٠٠٩.

٢١. نوري البرازي، الصناعة والتصنيع في العراق، د. ط، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٩٦٧.

٢٢. وزارة الصناعة، الكتاب السنوي لسنة ١٩٦١-١٩٦٢، بغداد، مطبعة التمدن، ١٩٦٢.

٢٣. وقائع المؤتمر الهندسي العراقي للفترة ١٩ – ١٦كانون الأول مايس ٥٨٩١، نشوء وتطور الفضاءات المعمارية لبعض المراقد المقدسة في العراق، كلية الهندسة، جامعة بغداد، مطبعة OECD member Countries، Paris، ١٩٧٤.جامعة بغداد ١٩٨٥.

٢٤. وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاسلامي المتأخر، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٧٢.

٢٥. نسرين محمود حمزة، الجغرافية الاجتماعية لمدينة الكاظمية الكبرى، ط١، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥.

٢٦. نيلي عويد مشالي رشيد الكناني، أستعمالات الأرض في مدينة الكاظمية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية للبنات . جامعة بغداد، ٢٠٠١.

References

1- Ibrahim Sharif, Geography of Industry, 1st Edition, Dar Al-Resala for Printing, Baghdad, 1976.
2- Abu Bakr Ahmed bin Ali Al-Khatib Al-Baghdadi, History of Baghdad, the City of Peace, Volume Three, Al-Saada Press, Cairo, 1931
3- .The Iraqi Federation of Industries, the third yearbook for the year 1958-1959, the Association Press, Baghdad
4- .Iraqi Federation of Industries, Iraqi Industries Guide and Yearbook for the year 1966, Baghdad, 1966.
5- Ihsan Muhammad Al-Hassan, Industrial Sociology, College of Arts, Baghdad University Press, 1986 AD.
6- Ahmed Habib Rasoul, Principles of Industrial Geography, Dar Al Salam Press, Baghdad, 197 .
7- Intisar Hassoun Reda Al-Salami, Industrial Crafts in Al-Kadhimiya District, Master's Thesis (unpublished), College of Education, Ibn Rushd, University of Baghdad, 2003 .
8- Bassem Abdel Hamid Hamoudi, Folklore, first issue, Republic of Iraq - Baghdad, 1997 .
9- Jamal Hamdan, The Arab City, Institute of Higher Arab Studies, League of Arab States, d. I, Al-Jablawi Press, 1964
10- Hatem Hamoudi Hassan, The Fall of the Residential Heritage in Old Kadhimiya, Ph.D. thesis (unpublished), University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd, 2009 .
11- Khalis Al-Ashaab, City of Baghdad - (its growth - its structure - its planning) The Small Encyclopedia, Dar Al-Hafiz Publications, Baghdad, 2005 .١٢ .
12- Sana Hamid Abbas Al-Ibrahimi, Textile and Leather Industries in Najaf Governorate - Study of Industrial Geography, Master's Thesis (unpublished), College of Education for Girls, 2009 .
13- Sabah Al-Durra, Industrial Development in Iraq, d. I, Al-Nujoum Press, Baghdad, 1968 .
14- Salah Oreibi and Abbas Al-Obaidi, The Economic Role of the Bourgeoisie in the Arab Mashreq Until the Sixties of the Twentieth Century, 1st Edition, Dar Ghaida, Amman, 2010 .
15- Abdul-Zahra Ali Al-Janabi, industrial geography, d. I, Dar Safaa for Publishing and Distribution, Amman, 2013 .
16- Abdel-Fattah Wahiba, Geography of Urbanism, Mansha'at al-Maaref in Alexandria, Alexandria, d.T .

17- Ali Fouad Ahmed, Rural Sociology, 3rd Edition, House of Arab Culture, Cairo, 196 .
18- Fakhri Qaddouri, Childhood in Baghdad on the banks of the Tigris River, Dar Al-Hikma, London, 200 .
19- Kathleen Lankley, The Fabrication of Iraq, translated by Muhammad Hamid Al-Tai and Khattab Al-Ani, Franklin Corporation for Printing and Publishing, Baghdad, 196 .
20- Nidal Abdul Majeed and others, The Iraqi Plant Carpet, Dar Al-Tarrat Center for Research and Textiles, Annual Report of the General Authority for Industrial Research and Development, Ministry of Industry and Minerals, Baghdad, 2009 .
21- Nouri al-Barazi, Industry and Manufacturing in Iraq, d. I, Al-Nahda Press, Cairo, 196 .
22- Ministry of Industry, Yearbook for the year 1961-1962, Baghdad, Al-Tamdun Press, 196 .
23- Proceedings of the Iraqi Engineering Conference for the period 19-16 December, May 5891, The emergence and development of architectural spaces for some holy shrines in Iraq, College of Engineering, University of Baghdad, OECD Member Countries Press, Paris, 1974. University of Baghdad 198 .
24- Walid Al-Jader, Crafts and Handicrafts in the Late Islamic Era, Al-Adeeb Press, Baghdad, 197 .
25- Nasreen Mahmoud Hamza, Social Geography of the Greater Kadhimiya City, 1st Edition, Dar Al-Hurriya, Baghdad, 1975.
26- Nelly Owaid Mashali Rashid Al-Kinani, Land Uses in the City of Kadhimiya, Master's Thesis (unpublished) College of Education for Girls - University of Baghdad, 2001 .